خطبة جمعة بعنوان

[الإبهاج بذكر نماذج مما ينبغي أن يعلمه الحاج}

لفضيلةِ شَيْخِنَا العلامة:
أبِيْ عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري

١٠ ذو الحجة ١٤٤٣ هجرية

مسجد ابراهيم بشحوح سيئون

فرغها : أبو عبدالله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد أيها: إن من شأن من رزقه الله عز وجل عقلا سليما وفهما صحيحا وتوفيقا من الله أن يحرص على نفع نفسه ونفع غيره مسلمين، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال <احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز> أخرجه مسلم(2664)

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فهذا شأن من وفقه الله عز وجل أن يكون حريصا على ما ينفعه، ولا يتمكن من ذلك إلا باستعانة ربه جل وعلا، إياك نعبد وإياك نستعين، أوصيك أن لا تدع دبر كل صلاة أن تقول < أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنّ في دُبُرَ كلّ صلاةٍ تقولُ: اللّهمّ أعنّي على ذِكرِكَ، وشُكرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ> أخرجه أبو داود(1522) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

هكذا أوصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل، وهي وصية للأمة، فاحرص أيها العبد على ما ينفعك، وإن أجل ما تنتفع به وأساس وملاك ما تنتفع به في هذه الدنيا والأخرى هو عنايتك بدين الله،

عنايتك بالفقه في الدين، وعبادة رب العالمين، كما في الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال‹مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللهُ به مِنَ الهُدَى والعِلْمِ، كمَثَلِ الغَيْثِ الكثِيرِ أصابَ أرْضًا، فَكانَ مِنْها نَقِيّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكثِيرَ، وكانَتْ مِنْها أجادِبُ، أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللهُ بها النّاسَ، فَشَرِبُوا وسَقَوْا ورَعَوْا، وأصابَتْ مِنْها طائِفَةً أُخْرَى، إنّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَـقُهَ في دِينِ اللهِ، ونَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذي أُرْسِلْتُ بهِ› البخاري (79)، ومسلم (2282).

ومثل من لم يرفع لذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به: هذا مثل للمنتفع الذي رزقه الله عز وجل هذه الجوارح فسخرها لما ينفعه، فاحرص على الانتفاع عبد الله؛ الانتفاع بهذا العلم لنفسك ولغيرك، قال النبي صلى الله عليه وسلم ‹من استطاع أن ينفعَ أخاه فليفعَلْ› أخرجه مسلم(2199) عن جابر رضي الله عنه.

فكل ما تنفع به غيرك هو نفع لنفسك، وفي صحيح مسلم(2577) في الحديث القدسي عن أبي ذر رضي الله عنه، قال الله عز وجل ‹إنّما هي أعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمّ أُوَفِّيكُمْ إيّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنّ إلّا نَفْسَهُ.

إن حرصك على الانتفاع دون استعانة بالله عز وجل غير مجدي، فقد علم النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عباس ذلك الحديث العظيم والعقيدة النافعة

‹يا غُلامُ إنّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ ، احفَظِ اللهَ يحفَظْكَ ، احفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللهِ.

ومما علمه أن النفع لا يملكه أحد إلا الله. واعلَم أنّ الأمّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لكَ ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليكَ

، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفّتِ الصُّحفُ> أخرجه الترمذي(2516) وهو في الصحيح المسند للشيخ مقبل الوادعي رحمه الله (699).

فالنفع لا يكون إلا من عند الله، فاطلبه من الله سبحانه وتعالى، ولهذا الله سبحانه يقول لنبيه:{قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ}[الأعراف:188]

وما مسني السوء، وانما الشاهد أنه لا يستطيع الإنسان أن يملك نفع وضر نفسه إلا أن يوفقه الله وينفعه الله، فاحرص على نفع ربك لك، ودعاء الله أن ينفعك، وأن يوفقك لذلك، واسلك سبل الانتفاع، هذا الاقبال على الله هو سلوك سبيل نفعك ونفع غيرك،<ألا أخبركم بخيرِكم من شرّكم ؟ قال : فسكتُوا، فقال ذلك ثلاثَ مراتٍ، فقال رجلٌ : بلى يا رسولَ اللّهِ أخبرْنا بخيرِنا مِن شرّنا . قال : خيركُم منْ يرُجى خيرُه ويؤمنُ شرُّهُ، وشرُّكم من لا يُرجى خيرُهُ، ولا يؤمنُ شرُّهُ>أخرجه الترمذي(2263) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فخير الناس أنفع لنفسه ولغيره، من علم بنفع نفسه بطاعة الله وغيره هذا هو الخير، هذا ميزان نبوي شرعي للأخيار من الأشرار، إن أمر الانتفاع يحتاج إلى لجوء إلى مالكه؛ فهو الله سبحانه وتعالى، اللّهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، فلا يستطيع أحد أن ينفعك إن لم ينفعك الله، مع حرصك الشديد لا تستطيع أن تنتفع، ولهذا ما من إنسان إلا وهو حريص على مكارم الأخلاق، حريص على العلم، يحب أن يكون عالما، الجاهل سائر الناس يحبون هذه المكارم والعلوم، لكن حرص بغير فائدة، بغير التماس التوفيق، بغير كذلك سلوك أسبابه، بغير العناية بشموله ووسائله، إن أهم ما تعتني به هو لجوءك إلى الله، الجأ إلى الله سبحانه وتعالى أن ينفعك في الدنيا والأخرى، ومن أجل ما تنتفع به هو العلم، الفقه في الدين

فإنه فريضة من فرائض الله على المكلفين، ليس عبارة عن أمر سهل، هو ضرورة إنسانية، ضرورة على الإنسان شيء لازم عليه أن يعبد الله، أفترى أن يعبد الله على جهل، هل يستطيع أن يقيم دينه إن لم يفقه دين الله ويعلم دين الله ؟ في كل عمل عبادة من عبادة الله، عبادة يفهمها، أن يفهمها، أن يفقهها، أن يعلمها، هذا معنى طلب العلم فريضة على كل مسلم، وفي هذه الأشهر أشهر الحج كثير من المكلفين عازمون على عبادة عظيمة، عازمون على الحج، على فريضة من فرائض الله، وشعيرة عظيمة وجب على من كان له عناية بذلك أو قصد ذلك أن يعلم، وجب عليه أن يعلم ما يؤدي به هذه العبادة أداءاً صحيحا، قال الله:{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} [البقرة:197].

هذا مما يجب أن تعلمه إن كنت وفقت للاستطاعة ولأداء فريضة أو أداء عبادة ولو كانت تطوعا، يجب أن تعلم ذلك أن الحج أشهره معلومات، وأن الحج أيضا من فرض فيه الحج في هذه الأشهر ودخل في الحج فإنه يجتنب أموراً تفسد عليه حجه أو تضعف فائدة الحج، وذلك كالرفث وهو الجماع ومقدماته، فالجماع مفسد بلا خلاف، ومقدمات الجماع مضرة بحجه، كالكلام والتعريض والتقبيل ونحو ذلك، هذا مضر بحجه، فلا رفث ولا فسوق، وكم ترى ممن يحج وهو لا يعتني بهذه الأمور فيفسق في حجه، يحج ويفسق، يحج ويحلق اللحية، يحج وينظر إلى المحرمات، وإلى النسوان، وإلى ما لا يجوز له النظر إليه، يحج من مال حرام، وهذا فسق في الحج، يحج ويرتكب معاصي، يحج ويتعامل بتعاملات لا ترضي الله سبحانه وتعالى، يحج ويسيء خلقه، ويؤذي المسلمين بالزحام بالدفع بالأذية بالسب بالشتم، يحج وغير ذلك مما هو من معاني الفسق، باب الفسق واسع، فهذا يعني أنه ما اعتنى ولا انتفع بالعلم، أولاً ما انتفع به لأنه من من شأنه أن يتعلم، ثانياً ما انتفع به أنه تعلم ولم يطبق على أمرين؛ عدم الانتفاع بالعلم لكونه أعرض عنه، وعدم الانتفاع بالعلم لكونه علم ولم يطبق ما

علم، وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع كما في صحيح مسلم(2722) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول<اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لَهَا.

أمور استعاذ منها رسول الله منها العلم الذي لا ينفع، إما إنه يعرض عنه أو أنه يعلم ولا يقوم بذلك العلم ولا يرفع به رأسا، فهذا ما انتفع بالعلم، هذا حجة على صاحبه لا له،< حُجَّةٌ لَكَ، أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا> أخرجه مسلم(233) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فانتفاعك بالعلم هو التماسه وابتغاؤه حتى تتحصل عليه ثم تطبيقه في مواضعه حتى تستفيد تلك النعمة وذلك العلم ويكون حجة لك لا عليك، وإن من أهم ما يعتني به من نوى ذلك وقصده أن يحج على توحيد، فلو حج على الشرك بالله لا ينفعه حجه ولا عبادة من سائر العبادات، محبوطة، قال الله :{وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(88)}[الأنعام:88].

فتب إلى الله عز وجل وحقق التوحيد، حج ينفعك حجك، أما أن تحج على طريقة قد تحج على طريقة المشركين كانوا يحجون، وأنت تدعو غير الله، تستغيث بغير الله، تنذر لغير الله، تذبح لغير الله، وغير ذلك من أنواع الشرك، عقيدة فاسدة تحج بها لا حج ينفعك، لا صلاة تنفعك، لا عمل ينفعك، قال الله:{إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72)}[المائدة:72].

وقال الله:{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: 23].

فصحح التوحيد، وتب إلى الله عز وجل، حقق هذا العبادة العظيمة ينفعك حجك، وتهدم جميع سيئاتك بإذن الله عز وجل، وهكذا حج بإخلاص، إياك أن ترائي فيه، وأن تلتمس فيه محمدة الناس، وأن تنظر

من يصورك من هنا ومن هنا لتريهم أنك حججت، وأنك رميت، وأنك سعيت، وأنك طفت، وأنك دعوت، وأنك وأنك، مما يفعله كثير من المراءين نسأل الله العافية والجهال،

هذه أعمال ربما العمل يزال بسبب ذلك لأنه إذا كان القصد من ذلك مرآة الناس بطل العمل، ففي صحيح مسلم(2985) عن أبي هريرة رضي الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال<قال اللّهُ تعالَى : أنا أغْنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ ، مَنْ عمِلَ عملًا أشركَ فيه معِيَ تركتُهُ وشِركَهُ.

ماذا تريد أنت؟ تريد أن يراك الناس فيحمدوك على ذلك، تريد أن ترضي رب العالمين أم البشر؟ اعبدوا الله، اقبل على عبادتك، ما تحتاج إلى أن تكون في كل مكان وأنت تعصي الله بتلك الصور من أجل يحمدوك الناس على ذلك الفعل وأنك رجل صالح، هذا صحح هذا المقصد قبل شروعك في هذه العبادة، وإلا فسدت عليك عبادتك، قال الله:{مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (18)وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (19)}[الإسراء: 18،19].

فالمشكور هو السعي الذي يراد به الآخرة، والله جل وعلا ووجه الله، لا مراد البشر الضعفاء، ومحمدة الناس، والتماس الوظائف، والتماس الثناء، والتماس والتماس، هذه همة هابطة مسقطة، حتى إن الانسان يفوت بها عبادة لله سبحانه وطاعة وربما حبط عمله، اتقوا الله عباد الله، صححوا مقاصد الطاعة بالعلم النافع، وتطبيق العلم النافع، تفقه في دين الله، تفقه حتى تحج على عمل صالح، صحح الاتباع أن تحج على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو القائل خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، أي خذوا كيف تعملون في الحج، مناسك الحج، وأعمال الحج، كيف تطبقون، فلا تقوم عشوائية، هي ما هي من مضي مع الناس كيف ما فعلوا وفعلت، ولكن القصد أنك تفقه هذه العبادة، تتعلم هذا الواجب فتأخذ مناسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته الثابتة،

هذا مما هو مما أوجب الله عز وجل أن تتعلمه، ثم اعلم تعظيم هذه العبادة عظمها فإنها عبادة عظيمة، ركن من أركان الإسلام، واجب أن يعتقد المسلم أنها ركن من أركان الاسلام، وأنها فريضة، ومن اعتقد أنها غير فريضة كفر، لقول الله جل وعلا:{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97)}[آل عمران:97].

هذه آيات فرضية الحج، هذه آية عند جمهور العلماء كما ذكر ابن كثير وغيره، والشاهد أن من كفر فرضيتها وشرعيتها وركنيتها إن الله غني عن العالمين، فذكر الكفر هنا أي في جحودها أو إنكار فرضيتها، ركن من أركان الإسلام، ﺣبُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامِ الصّلاةِ وَإِيتَاءِ الزّكَاةِ وَالْحَجّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ رواه البخاري (8)، ومسلم (16) عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي حديث عمر رضي الله عنه حين جاء جبريل فقال﴿أَخْبِرنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ!﴾أخرجه مسلم(8)

هذه أشياء في كتاب الله، وفي وحي، الله وشرع الله، وعلى ألسنة رسل الله، الرسول الملكي والرسول البشري وسائر المكلفين، ركن عظيم من أركان الدين، هذا الحج وهذه الفريضة عظمها، واعلم فرضيتها، في صحيح مسلم(1337)عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :﴿قد فُرِضَ عليكم الحجُّ فحُجُّوا.فقال الأقرع بن حابس كما جاء عن ابن عباس خارج الصحيح يا رسول الله أكل عام؟ وجب علينا أن نحج كل عام كما ثبت في حديث أنس أنه قال أنه نص على أنه"في كلِّ عامٍ ؟ فسَكتَ عنهُ حتّى أعادَهُ ثلاثًا فقالَ : لو قُلتُ نعَم لوَجَبَتْ ، ولو وَجَبَتْ ما قمتُمْ بِها ذَروني ما تركْتُكُم ، فإنّما هلَكَ من كانَ

قبلكم بكثرةِ سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم ، فإذا أمرتُكم بالشّيءِ فخُذوا بهِ ما استَطعتُمْ ، وإذا نَهَيتُكم عن شيءٍ فاجتَنبوهُ.أخرجه البخاري (7288)، ومسلم (1337).

وصدر الحديث في مسلم.

أيها الناس إن الله فرض عليكم الحج فحجوا. انفرد به مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وإنما الشاهد من ذلك فرضية هذه العبادة، وأنه لا يجوز التخلف عنها لكل مكلف يستطيعها، فإذا استطاع وتخلف عنها عصا عز وجل ومات عاصيا، فإن جحدها أو أنكر فرضيتها كفر بالله عز وجل، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، جاء من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعد أن ذكر أن الحج فريضة قال:< دعوني ما تركتكم، قال لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ولم تؤدوها لعذبتم، ولكن من فضل الله عز وجل أن الحج هذه الفريضة لا تجب على المكلف إلا حجة واحدة حجة الإسلام في العمر مرة فقط عند القدرة والاستطاعة، وما زاد على ذلك فتطوع وفضيلة، أفهم فضيلة هذه العبادة وركنية هذه العبادة، فرب إنسان يكون في تلك المقدس يمضي من عمره ما مضى مع قدرته وهو في غفلة عن ركنيتها ووجوبها وفرضيتها، فيتعامى ويتغافل عن أدائها، ويعصي رب العالمين بذلك، والعاجز عن ذلك بنفسه وله قدرة بماله يجب عليه، فليس كل عاجز معذور، فالعاجز على على قسمين قسم عاجز بنفسه وماله معذور بلا خلاف، قسم عاجز بماله وعنده القدرة معذور بلا خلاف، وهذا الثاني والثالث أيضا قسم عاجز بنفسه لكن عنده قدرة أن يحج لو وجد من يقوم عنه ذلك، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي رزين العقيلي لما قال:يا رسولَ اللهِ، إنّ أبي شيخٌ كبيرٌ لا يستطيعُ الحجّ ولا العُمرةَ ولا الظّعنَ قال: فحُجّ عن أبيكَ واعتمِرْ> أخرجه النسائي (2620).

وفي صحيح حديث ابن عباس رضي الله عنه صدر به البخاري كتابه

الحج من الصحيح في تلك المرأة الخثعمية لما قالت < يا رسولَ اللهِ ، إنّ فريضةَ اللهِ على عبادِه في الحجّ أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يستطيعُ أن يثبُتَ على الرّاحلةِ ، أفأحُجُّ عنه ؟ قال : نعم ، وذلك في حجّةِ الوداعِ>البخاري (1513)، ومسلم (1334).

هذا معناه أنه إن كان عاجزا بنفسه غير قادر على الذهاب لمرض لا يستطيع معه السفر مزمن مستمر به، أو كبر سن، أو غير، فإن غيره إن قام بذلك عنه أجزأ، ويشترط في هذا الغير أن يكون قد حج عن نفسه، فقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول<لبّيكَ عن شُبرمةَ فقالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ مَن شُبرمةُ قالَ قريبٌ لي قالَ: هل حجَجتَ قطُّ؟ قالَ: لا قالَ: فاجعَل هذِهِ عَن نَفسِكَ ثمّ حُجّ عن شُبرمةَ>أخرجه أبو داود (1811)، وابن ماجه (2903) واللفظ له، عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

هذا الذي ينبغي أن يبدأ به بنفسه على الأصح عند جمهور العلماء، هذا ومما تعلمه أيضا أنك نفع ذلك عائد إليك، فالإنسان حريص على النفع، العاقل يحرص على نفع نفسه.،هذا الحج هذه العبادة فرضاً أو تطوعاً فيها منافع، افهم هذه المنافع حتى تحرص عليها، قال الله:{وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27)}[الحج:27].

أي الأفواج تأتي{لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ}[الحج:28].هذه هي الحكمة في فرضية الحج عائدة على الإنسان، أنها منافع تعود له، فكل ما أمر الله به نفعه يعود على المكلف المأمور بذلك، هذه الحكمة من فرض اشهدوا منافع لهم، من تكفير الذنوب،<مَنْ حَجّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ>رواه البخاري (1521) ومسلم (1350) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذا حج إنسان على فقه وبصيرة اجتنب الرفث والفسوق والجدال وما يضر الحج رجع كيوم ولدته أمه،<أما علمتَ يا عمرُو أنّ الإسلامَ

يهدِمُ ما كان قبلَه وأنّ الهجرةَ تهدِمُ ما كان قبلَها وأنّ الحجّ يهدِمُ ما كان قبلَه> أخرجه مسلم(121)من حديث عبد الرحمن بن شماسة المهري عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الشاهد منه أن الحج هدام للمعاصي لمن حج ولم يرفث ولم يفسق، حج على بصيرة، حج على على تفهم وعلى تفقه لدين الله، حج على علم، يهدم الذنوب كلها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:<العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كفّارَةٌ لِما بيْنَهُمَا، والحَجُّ المَبْرُورُ ليسَ له جَزَاءٌ إلّا الجَنّةُ> أخرجه البخاري (1773)، ومسلم (1349) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هذا تفهم فيه بذلك حتى ينشرح صدرك لهذه العبادة، لأنه نفع لك عظيم، ومن أجل منافع ذلك أنها تذهب الخطايا كما يذهب الكير خبث الحديد والذهب والفضة، ثبت عن ابن مسعود واللفظ له وعن ابن عباس بنحوه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:<تابِعوا بينَ الحجِّ والعمرةِ ، فإنّهما ينفِيانِ الفقرَ والذّنوبَ ، كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديدِ والذّهبِ والفضّةِ وليسَ للحجِّ المبرورِ ثوابٌ دونَ الجنّةِ>أخرجه الترمذي (810)، والنسائي (2631) واللفظ له، وأحمد (3669).

وأنت انظر الكير إذا وضع فيه الحديد وفيه عليه الصدأ وعليه الأوساخ وعليه الأتربة فإذا وضع فيه وضرب وإذا به نظيف، هكذا يرجع يوم ولدته أمه، هذه من منافع الحج التي ينبغي أن تفهمها ذات العائدة والفائدة عليك، أن تحرص على الحج وعلى أدائه الصحيح بلا رفث ولا فسوق، فإن الحج المبرور هو الذي لا رفث فيه، ولا فسوق فيه، ولا جدال بالباطل فيه، ولا جدال أي بالباطل والمخاصمة والأذى والفتنة بما لا فائدة عليه ولا على غيره، فإذا تحقق عند الإنسان ذلك، وزاد في بر حجه أيضا العج والثج فنعم ما ذاك، روى الترمذي (827) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه،أن رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ سُئل : أيٌّ الحجِّ أفضلُ ؟ قال : العجُّ والثجُّ>

والعج المقصود به التلبية والذكر لله عز وجل، والثج هي : إراقة دماء الأضاحي ودماء الهدايا، دماء الهدي، فإذا اجتمع ذلك كان هذا بر عليه تتميم الحج، وكان برا عليه فضيلة الحج، مزيد فضيلة الحج، هذا كله مما يتعلمه الحاج، وقد علم من ذلك أن من حج لله سبحانه وتعالى حجا صحيحا أنه يجاب الدعوة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :< جعلَ اللهُ صلاةَ قومٍ أبرارٍ ، يقومونَ اللّيلَ ، ويصومونَ النّهارَ ، ليسوا بأثمةٍ ولا فجّارٍ . الصحيح المسند للشيخ مقبل الوادعي رحمه الله(97) من حديث أنس بن مالك رضي الله.

فمن رفعها الله عنه الآثام والفجور والمعاصي استجاب الله له وصار مجاب الدعوة، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:<الحجّاجُ والعمّارُ وفدُ اللهِ، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم>أخرجه ابن ماجة(2892)

عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هذه كلها فوائد عظيمة، منافع عظيمة تتحصل عليها، وأكثر من ذلك أن هذا الحج أسس لذكر الله، ولطاعة الله، ولعبادة الله جل وعلا، ففي حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:<إنّمَا جُعِلَ الطّوَافُ بِالبَيْتِ وَبَيْنَ الصّفَا وَالمَرْوَةِ وَرَمْيُ الجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ>رواه أبو داود (1888) ، والترمذي (902)

إنما الشاهد من ذلك أن هذه العبادة وسائر العبادات أقيمت في ذكر الله، فتنتفع بذلك أنك تذكر الله كثيرا في تلك الأيام المعدودات، كما قال الله سبحانه وتعالى:{وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (203)}[البقرة:203].

والأيام المعدودات هي أيام التشريق، ففيها ذكر الله، ومزيد التكبير، وعند الرمي، وفي الطرقات، غير ذلك مما يشرع للحاج والعناية به، وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:"أيّامُ التّشريقِ أيّامُ أكلٍ وشُربٍ

وذِكرٍ للهِ عزّ وجلّ> كما في الصحيح من حديث نبيشة رضي الله عنه، فليعتني الحاج بهذه الأمور، سواء كان بمدلول ركنيتها، أو بمدلول وجوبها وفرضيتها، أو بمدلول فضلها واستحبابها وآدابها، أو بمدلول الحذر من افسادها، كل ذلك على الحاج أن يعتني به، وهذا وجوبا عليه حتى لا يعمل فيصير عمله غير مفيد له، أو منقوص الأجر.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، هذه بعض النماذج من أهمية العلم والفقه في الدين والعناية به، وأنها عبادات وأركان فرضها الله على العباد، إذا غفل الإنسان عنها وعن تعلمها أداها غير هدي رسول الله فسدت، في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:‹مَن أحْدَثَ في أمْرِنا هذا ما ليسَ منه فَهو رَدٌّ.البخاري(2697)ومسلم(1718)

أناس يحجون ويأتون بالحسينيات، فيشركون ويعصون ويفسدون، وفي حرم الله يلحدون، {وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (25)}[الحج:25].

إياك عبد الله أن تسلط جوالك أو ما عندك من الآلات على تصوير ذوات الأرواح، فهذا من الفسق في الحج، إذ أن تصوير ذوات الأرواح كبيرة من كبائر الذنوب، لأدلة كثيرة في ذلك، قال عليه الصلاة والسلام:‹إنّ أشَدّ النّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللّه يَوْمَ الْقِيَامَةِ المصوّرُونَ) رواه البخاري (5606) ومسلم (2109) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

ولعن المصور،تخرجُ عنقٌ منَ النّارِ يومَ القيامةِ لها عَينانِ تُبْصِرانِ ، وأذُنانِ تسمَعانِ ، ولِسانٌ ينطِقُ ، يقولُ : إنّي وُكِّلتُ بثلاثةٍ : بِكُلّ جبّارٍ عَنيدٍ، وبِكُلّ مَن دعا معَ اللهِ إلهًا آخرَ ، وبالمصوّرينَ.أخرجه الترمذي (2574) واللفظ له، وأحمد (8430) باختلاف يسير، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فهذا مقرون بدعاء غير الله عز وجل، ليضاهون بخلق الله، ‹أشدّ الناسِ عذابًا يومَ القيامةِ الذين يُضاهون اللّهَ في خلقِه›أخرجه البخاري (5954)، ومسلم (2107) عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، عن

عائشة رضي الله عنها.

أي التصوير، هذه وعيدات تدل على كبر وعظم هذه المعصية، فلا تنشغل بهذه المعصية، ولا ترضى بها لنفسك ولا لغيرك، وتعتبر ذلك مما توثق به عبادتك، وأنك تبقيها لولد عن ولد ينظر إليها أنك حججت أو فعلت أو كذا، سيجتمع في ذلك المعصية الحالية الموجودة منك والرضا بها والرياء ومخالفة هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونواهيه، هذه نماذج مما يجب على الإنسان أن يحذرها في حجه، وهكذا أمور السفر بغير محرم فإن ذلك من الفسق والمعصية، قال النبي صلى الله عليه وسلم:<لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَومٍ وَلَيْلَةٍ إلّا مع ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا> أخرجه البخاري(1088) ومسلم(1339) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فلا يجوز لها أن تسافر، هي معذورة، وسليمة الدين، وفي عافية من الله عز وجل ولو ماتت، إلا أن يتيسر لها زوج أو محرم تسافر معه للحج، وإن رضا من يرضى بذلك أن تسافر المرأة إلى الحج بغير محرم رضا بمخالفة هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلى ذوي الشأن أن يتقوا الله عن هذه الفتوى التي ربما أصدرت بجواز سفر المرأة مع النساء وبغير محرم، فإن هذا فتح باب للفساد في الحج والفسق فيه، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج، وإن المرأة تحتاج إلى رعاية، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، وليست المرأة راعية للمرأة، ولا تقدر على رعاية نفسها بمفردها، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته،< مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللّٰهُ رَعِيّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيّتِهِ، إلّا حَرّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الجَنّةَ".

أخرجه البخاري(6731) ومسلم

(142).

ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، والاستطاعة هي الزاد أن يملك زادا زائدا عن ضروريات أهله ومن يعول، كفى بالمرء أن

يضيع من يعول، ولكن هذا زائد، ويملك زاداً حلالاً، فإن كان حراماً كان فسقا، زادا من حلال، وهكذا يملك راحلة إن كان السفر بعيدا ليس من ذوي مكة وما حولها، الزاد والراحلة، وأن يكون آمن الطريق، فإن النبي صلى الله عليه وسلم صُد من جانب البيت لما لم يكن له أمن، فمن الاستطاعة الزاد، ولا يذهب الإنسان بغير زاد، فقد كان بعضهم يحجون وربما سألوا الناس، فأنزل الله عز وجل:{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197)}[البقرة:197].

فخير الزاد التقوى، ولكن هذا من التقوى أن تأخذ زاداً يسد حالك في هذه العبادة، وهكذا أن تجد راحلة، وهكذا ترافق رفقة طيبة تستفيد منهم، ولا تجالس السيئين، والكسلاء عن العبادة، ثبت في البخاري (2101)، ومسلم (2628) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السَّوْءِ، كمَثَلِ صاحِبِ المِسْكِ وكِيرِ الحَدَّادِ؛ لا يَعْدَمُكَ مِن صاحِبِ المِسْكِ إمّا تَشْتَرِيهِ أوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أوْ ثَوْبَكَ، أوْ تَجِدُ منه رِيحًا خَبِيثَةً.

وهكذا ثبت عند أبي داود (4833)، والترمذي (2378)، وأحمد (8398) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"المرءُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم مَن يُخالِلُ.

وقال الله:{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ}[الكهف:28].

فكيف المرأة تسافر بغير محرم، أو تسافر مع رفقة نسوان، أو مع رجال، هذا لا يرضاه الله، هذا والله أنه فتح باب ضرر على الناس، وإنما في هناك أقوال في هذه المسألة غير صحيحة غير مؤيدة بالأدلة، اللهم إلا أن يكون ذلك يعني مرض وهي تكمل ما بقي من أداء عبادتها في الحج فإن لا بأس أن تكمل مع محرمها أو رفيقها، أما أن تنشأ سافرا من بيتها ودارها، قال رجل:"يا رَسولَ اللهِ، اكْتُتِبْتُ في غَزْوَةِ كذا

وكذا، وخَرَجَتِ امْرَأتي حاجّةً، قالَ: اذْهَبْ فَحُجّ مع امْرَأتِكَ. أخرجه البخاري (3006) عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

فنهاه أن يذهب مع الغزو والغزو شيء عظيم في سبيل الله، ولكن ذاهبه ورعايته مع امرأة هذا أمر أهم، فإن الحج يعتبر جهاداً، المرأة قد تضعف عنه في بعض الأحوال، قال:"عليهنّ جِهادٌ لا قِتالَ فيه؛ الحجُّ والعُمرةُ"؛أخرجه ابن ماجه (2901)، وأحمد (25322) واللفظ له، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهو في سبيل الله، كما في حديث أبي طليق، أنه أراد الحج هو وولده، قالت:"أحججْني مع رسولِ اللهِ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلم - على جملِكَ ؟ فقال : ما عندي ما أُحِجُّكِ عليه . فقالت : أحجِجني على جملِك فلانٍ ؟ قال : ذاك حبيسٌ في سبيلِ اللهِ عزّ وجلّ . فأتى رسولَ اللهِ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلم - فقال : إنّ امرأتي تقرأُ عليك السلامَ ورحمةَ اللهِ وإنها سألتني الحجّ معكَ قالت : أحججْني مع رسولِ اللهِ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلم - ؟ فقلتُ : ما عندي ما أحجكِ عليه . فقالت : أحججني على جملِك فلانٍ ؟ فقلتُ : ذاك حبيسٌ في سبيلِ اللهِ عزّ وجلّ قال : أما إنك لو أحججْتَها عليه ، كان في سبيلِ الله ، أما وإنها أمرتني أنْ أسألك ما يعدلُ حجةً معك . قال رسولُ اللهِ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلم - : أقرئها السلامَ ورحمةَ اللهِ وبركاتهُ ، وأخبرْها أنها تعدلُ حجّةً معي ، يعني عمرةً في رمضانَ .أخرجه أبو داود (1990)، والطبراني (12/208) (12911) وهو في الصحيح المسند للشيخ مقبل الوادعي رحمه الله (701) عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

فساعد أهلك، وساعد من تلي بقدر المستطاع تكن في سبيل الله، هذا الحج في سبيل الله، حتى إن من لا يستطيع الحج وسوعد من مال الزكاة للحج إذا كان لم يؤدي فريضة الحج حجة الإسلام يمكن أن يعطى من الزكاة ليحج فريضة الإسلام ويكون ذلك العطاء في سبيل

الله، قال الله:{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (60)}[التوبة:60].

نسأل الله عز وجل أن يمن علينا وعليكم بالفقه في الدين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، والحمد لله رب العالمين.